عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد01 - جويلية 2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-021-001-001 (DOI)

الفكر العلمي عند لوكيوس ابوليوس تيسوس من خلال مؤلفه "المرافعة"

Scientific thinking of Lucius Apuleius Theseus through his book "The Apology"

ط.د. حسينة حلاق*
مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط من العصور القديمة إلى العهد العثماني،
جامعة الجزائر2 /الجزائر
hassina.hallak@univ-constantine2.dz
أ.د سعاد سليماني
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، عبد الحميد مهري، قسنطينة 2/ الجزائر
souad.slimani@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2022/01/19 تاريخ المراجعة: 2022/01/29 تاريخ القبول:2022/04/14

الملخص:

نهدف من خلال هذا المقال، إلى تسليط الضوء على الفكر العلمي عند لوكيوس ابوليوس (Lucius Apuleius Theseus) واحدا من ابرز النخب الثقافية الإفريقية، الذي برز خلال القرن الثاني ميلادي تحت حكم الإمبراطور الروماني ماركوس اورليوس (Marcus Aurelius Antoninus) (161-169م)، وقد عرف بتنوع معارفه التي كانت ثمرة رحلاته العلمية مابين قرطاجة وبلاد الإغريق وروما، وتبنية لمختلف التيارات الدينية والفلسفية التي كانت منتشرة خلال القرن الثاني ميلادي، غير أنه من بين العلوم التي تخصص فيها واخبرنا عنها في

* ط.د.حسينة حلاق، جامعة الجزائر 2.

مؤلفه المرافعة (Apologie)، اهتمامه بالمجال العلمي، خاصة العلوم الطبية، من خلال تشخيص بعض الأمراض التي سادت عصره، وتفسير ه لظواهر الفيزيائية والخوض في مجال علم الأحياء البحرية، العلم الذي كان بالكد معروفا عند الجمهور اللاتيني، والذي استغله لاستخلاص بعض الأدوية، ما جعلنا نسلط الضوء على هذا الجانب من حياة هذا الموسوعي .

الكلمات المفتاحية: ابوليوس ؛المرافعة ؛مرض الصرع ؛التشريح ؛الكائنات البحرية x؛الفيزيا

Abstract :

Lucius Apuleius Theseus was one of the most important writers and intellectuals in Africa during the second century AD, especially during the reign of Emperor Marcus Aurelius Antonius (161-169 AD), He had many and varied knowledge's, which he learned through his scientific trips between Carthage, Greece and Rome. In addition to his extensive knowledge of the various religious and philosophical currents that were prevalent during the second century AD, He became a specialist in some medical sciences, which he wrote in his pleading book**.** He diagnosed some of the diseases that were prevalent in his time, as he wrote in his book explanations of physical phenomena, and issues in marine biology that were not known to the Romans in the time of Apuleius, which helped him to extract various medicines from them. Marine life, and this new science at the time encouraged us to highlight the importance of the content of Apuleius Apology book.

Keywords : Apuleius; Apology Book ; Anatomy; Epilepsy; sea Creatures ; Physics

- مقدمة:

كانت العلوم الدقيقة في الفترة القديمة شبه معروفة في العالم الروماني ومقاطعته، وقليلة الانتشار باستثناء ما جادت به قريحة الفلاسفة الإغريق أمثال: ارسطو(Aristotles)، ابيقور(Epicurus)، أفلاطون(Plato)، ثيوفراستوسTheophrastus، أو كونها من ضمن الدروس التي كانت تقدم للطلاب بالصف الدراسي، ويرجع الباحث الفرنسي يان لوبهاك (Yann Le Bohec)، عدم شعبيتها وانتشارها بسبب ارتباطها الوثيق

بالأدب، أو كونها إحدى فروعه .(le Bohec Yann, 1994, p. 59.60)، وبذلك يمكن لنا اعتبار لوكيوس أبوليوس أول شخصية افريقية خلال القرن الثاني ميلادي من أثار المسائل العلمية في أعماله، وقد وصلتنا هذه الإشارات من خلال مؤلفه المرافعة الذي خصصه لرد تهم السحر التي وجهت له من طرف أقارب زوجته اميليا بيدونتيلا Aemilia (Pudentilla)، أو بعض الشذرات التي اقتبسها مؤرخي اللاتين وحتى الإغريق في أعمالهم، دون الإشارة إلى مؤلفها الأصلي

كما بقيت الأعمال العلمية لابوليوس مجهولة عند العامة، كونها لم تحظى بالدراسة والاهتمام باستثناء بعض الدراسات الغربية، وهي في الأصل مقالات علمية أبرزها للباحث الايطالي اميدو بافيسيو (P.S.Amedeo)، الذي أشار إلى النشاط الطبي لابوليوس واهتمامه بعلم الأحياء البحرية، في حين خصص الباحث الفرنسي فرنسوا قاد (F.Gaide) مقالا ناقش فيه قيمة العلوم الطبية التي تناولها ابوليوس في مرافعته، وفي المقابل نجد رواية "الممسوخ "أو الحمار الذهبي، خاصة رواية بسيشي(Psyches) وكيوبيد (Cupido)، وفلسفته الأفلاطونية أخذت النصيب الكبير من الدراسة والانتشار.

اهتمام ابوليوس بالجانب العلمي ليس بالغريب عنه، وقد عرفنا توجهه نحو مختلف المعارف من اجل إشباع فضوله الكبير، وفي سبيل ذلك نظم العديد من الرحالات العلمية انطلاقا من قرطاجة نحو أثينا وروما، وتبنى العديد من الديانات الشرقية، ومختلف التيارات الفلسفية، ولعل توجهه الفلسفي كان فرصة كبيرة له، تحت غطائه مارس مهنة الطب، والبحث في الأحياء البحرية، وطبيعة المادة وتكوين العالم، وطبيعة الآلهة وغيرها من المفاهيم التي أثارت اهتمامه، من هنا كان الهدف من مقالنا أن نفتح نافذة للتعرف على الفكر العلمي لابوليوس الذي طالما عرفناه أديبا وفيلسوفا، والمجالات العلمية التي خاض فيها، وما مدى قيمة أعماله العلمية ؟

1- سيرته:

معلوماتنا قليلة عن حياة ابوليوس، ولكن رغم قلتها تقدم لنا صورة واضحة عن حياة هذا الموسوعي، مستمدة عموما من مصدريين من أعماله: المرافعة (Apologie)

والأزاهير (Florides) ، إلى جانب الشهادات التي وردت عند القديس اوغسطنيوس (Aurelius Augustinus) في رسائله إلى مواطنيه، ولد سنة 120 م، أي خلال النصف الثاني من فترة حكم الإمبراطور هادريانوس(Publius Aelius Hadrianus) (117-138م) بمادور (Madaurus)(Monceaux P, 2016, p. 217) ، التي تعرف اليوم باسم مدوروش (M'daourouch)، إحدى المدن الداخلية التابعة إداريا لحدود مقاطعة نوميديا، على بعد مائتين و ثلاثون (230) كلم من جنوب قرطاجة,Harisson S.J, 2000) p. 09)

كان لمادور دورا كبير في تكوين شخصية ابوليوس، التي اكتسب منها الثقافة المحلية (الليبية والبونيقية) ومزجها بالثقافة اللاتينية (لغة المستعمرة)، وقد كانت بمثابة مؤشر ا قويا لصقل معارفه مستقبلا ، كما تزامن نضجه البلاغي مع الثورة الفلسفية التي وصل صداها لإفريقيا، والتي مثلت ذروة إحياء الفكر الفلسفي اليوناني، في محاولة من الكتاب الإغريق إعادة إحياء أمجادهم القديمة ونشر ثقافتهم بالمدن التي كانت منتشرة بسواحل حوض البحر الأبيض المتوسط، التي وقعت تحت السيطرة الرومانية، كما كان معاصرا للعديد من الشخصيات الأدبية أمثال لوكيانوس(Lucianus) (انظر التعليق رقم 01)، ايليوس اريستيدس (Aelius Aristides) (انظر التعليق رقم 02)، وهي عوامل أخرى كان لها نصيب في تهيئة الجو المعرفي لابوليوس.

ينحدر ابوليوس من عائلة ثرية، حيث كان والده على قدر من الثراء، شغل منصب ميثاني (Duumvirat) و هو بمثابة قنصل صغير، ويعتبر اعلي رتبة قضائية في المستعمرة، ينتخب من طرف مجلس الشيوخ البلدي ,Dalbera J., Longrée D., 2019) (p. 15، ما وفر له سبل العيش الكريم، ومكنه من تكوين تعليمي عالي المستوى، خاصة أن التعليم النخبوي في وقته كان حكرا على طبقة الأثرياء، بدء تعليمه الأولي بمسقط رأسه مادور، وقد أبدى منذ صغره شغفه الكبير للعلم والمعرفة، فبدء بدراسة الأدب و البلاغة، إلا انه في الأزاهير (Florides)(انظر التعليق رقم03)، يشير ضمنيا انه بدء دراسة الأدب والفلسفة والقواعد بقرطاجة(Apulée, Apologie,XIII, XV)

2- تكوينه الدراسي:

بعد أن انهي ابوليوس تعليمه الأولي بمادور انتقل إلى قرطاجة، إحدى أهم الحواضر الثقافية بإفريقيا، وهو لا يزال شابا في السابعة عشر (17) من عمره، واكتسب منها أساسيات الأدب والبلاغة والخطابة التي كانت تدَرس بها جيدا، وبها تعرف ابوليوس أول مرة على الفلسفة الأفلاطونية، التي وجد فيها متعة كبيرة، تتماشى وفضوله العلمي(Monceaux p, 1887, p. 343.349) ، كما كون صداقات متينة خاصة مع الشخصيات التي كان لها حضور سياسي مهم في المجتمع القرطاجي (Monceaux P, 2016, p. 219)، و قد كان يذكر أيامه الأولى بقرطاجة في خطبه أمام القرطاجيين في الأزاهير"أنا مواطنكم، جئتكم منذ طفولتي، فلست غريبا عن أسيادكم" (Apulée, Apologie,XIII, XV).

تعرُف ابوليوس على الفلسفة و اغترافه منها، كانت احد أهم الأسباب التي جعلته يشد الرحال إلى معاقلها، فكانت أثينا، المحطة الثانية له في مساره العلمي، هذه المدينة العتيقة التي عُرفت بمدارسها الفلسفية الكبرى، و وصلت شهرتها كل أصقاع العالم القديم، وجذبت إليها العديد من النخب الإفريقية، فكانت أَتيكا(Attique) مفضلة الافارقة، أين جمعته بالعديد من أبناء جلدته روابط وصداقة متينة، أبرزهم بونتيانوس (Pantianus)، الذي لعب دورا أساسيا ومحوري في تغيير حياته، إلى جانب اولي جالوس(Aulus –Gallus)، إذ يذكر مونصو(P.Monceaux) أنهم درسوا في نفس الجامعة(Monceaux P, 2016, p. 219)

أقبل على دراسة مختلف العلوم والفنون " وأنا بأثينا شربت من كل كؤوس المعرفة، الأول سيد المدرسة يجعل من العقل خصوبة ونضجا، والثاني من كأس النحو الذي يعتبر أثاث المعرفة والثالث من الخطابة وهي سلاح البلاغة ": الأدب، التاريخ الطبيعي، علم الفلك و التنجيم، الطب، الموسيقى، الهندسة، المنطق (Apulée, Apologie,XIII, XV)، إلا أن أكثر شيء تخصص فيه هو الفلسفة التي كانت بالنسبة له كرحيق لا يمكن يشبع منه"(Apulée, Apologie,XIII, XV) ، حيث تبنى الأفلاطونية الجديدة (المحدثة)(Néo-platonisme) وجاهر بها، حتى انه أطلق على نفسه لقب

"الأفلاطوني"، هذا ما يفسر لنا انجذابه نحو الطقوس والنحل الدينية السرية الشرقية مثل عبادة دونسيوس (Dionysos)، ايزيس (Isis)(Valette P, 1960 , p. 09)

وفي محاولة منه تفسير بعض المسائل العلمية والميتافيزيقية التي كانت تشغل فكره (Beaujeu J., 1983, p. 389)، اعتنق الأفلاطونية المحدثة و مختلف الديانات الشرقية، ولكي يتعرف أكثر على حقيقتها نظم من اجل ذلك العديد من الأسفار لبلاد اليونان، أين زارا ثسماليا (Thessalia) بوسط اليونان، وأكمل سفره على طول ساحل أسيا الصغرى والجزر التابعة لها، ويخبرنا بنفسه انه عرف فريجيا (Frigya) وشبه جزيرة ساموس (Apulée, Apologie,XIII, XV) ، كورنيثا (Corinthe) ، أين تعرف فيها على أسرار عبادة الإلهة ايزيس، فتراءت له هذه الإلهة، حيث أمرته بالعودة إلى موطنه مادور، ليعود إليها ابوليوس بناء على أوامرها، غير انه لم يمكث بيها مدة طويلة، لتظهر له مرة أخرى وتأمره بالسفر إلى روما(Harisson S.J, 2000, p. 04)

إذن بناء على طلب ايزيس، يشد ابوليوس الرحال إلى روما، حيث نزل بميناء اوستيا (Ostia)، واتخذها مستقرا له، وهو في أسوء حالته بسبب تناقص أمواله، إضافة إلى الحياة المكلفة بروما، ما اضطره إلي التفتيش عن مهنة توفر له سبل العيش، فأصبح يُلقي بعض القصائد الغرامية والخطب في الحانات، ما عرضه إلى السخرية والاستهزاء بسبب بربرية لاتينيته التي كانت تغلب عليها اللكنة النوميدية، ما جعله يتوقف عن هذا العمل، و تظهر له الإلهة ايزيس للمرة الثالثة، لكن هذه المرة تدعوه إلى المثابرة والمضي قدما، وان استهزاء الآخرين به بدافع الحسد. (Boissier G., 1895, p. 104) ، كما أن تحكمه في فن الخطابة، وإتقانه فيما بعد للاتينية فتح له باب واسعا لامتهان مهنة المحاماة، حيث تم قبوله من طرف لجنة المحامين، غير أن امتهانه للمحاماة لم يكن بدافع الشهرة، وإنما من اجل كسب قوة عيشه(Boissier G., 1895, p. 110) ، فقد عاش بسيطا رغم ما وصل إليه فيما بعد ويفهم ذلك من خلال سياق كلامه انه كان فقيرا " لطالما كان الفقر رفيق الفلسفة، وأما لكل الفضائل، وان كل من يقع في الخطايا الذين لم يعرفوا مقدار ثرواتهم" (Apulée, Apologie,XIII, XV)، لذا لم تكن روما الملاذ الفكري المناسب له، ما جعله يعود مرة أخرى لمادور، بعد وفاة والده من اجل عملية نقل الميراث

الذي تركه له والده رفقة اخاه قدرت ب 2.000.000 سيسترس(Apulée, Apologie,XIII, XV)، كما ورث عنه المناصب السياسية، وبناء على شهادة قدمها القديس اوغسطنيوس يذكر انه حصل على الامتياز الروماني، أي أصبحت له رتبة شرفية، ما جعله واحدا من أثرياء مادور (Honesto Patria Suae Loco Natus) ، غير أن ميل ابوليوس للعلم والمعرفة جعله دوما يحن إلى حرارة وحيوية المدن الكبرى، فعاد إلى قرطاجة لثاني مرة، والقي بها خطابا أمام البروقنصل لوليانوس اويتوس (Lolianus Avitus)، لدرجة أن البروقنصل وقف وصفق له طويلا (Monceaux P, 2016, p. 221)، واستطاع رغم قصر المدة التي بقي بها أن يكسب جمهورا كبيرا بفضل براعته في الخطابة وقوة تأثيرها على المستمع(Cébe J.P, 1989, p. 821) .

قرر ابوليوس ترك قرطاجة، ليتجه نحو الإسكندرية، ولكن في طريقه توقف بأويا(OEA)(طرابلس حاليا) بسبب مشاكله الصحية، وتم استضافته من طرف أصدقائه آل بيوس(Les Appius) لأيام، ثم ينتقل لضيافة صديقه بونتيانوس، فبقي لأيام ثم شهور، لينتهي به المطاف أن يزوجه أمه اميليا بيدونتيلا، الأرملة الغنية من اجل الحفاظ على ميراث العائلة، ولكن لسوء الحظ سرعان ما وقع خلاف بين أفراد أسرتها، إذ رموه بتهمة السحر، التهمة التي يعاقب عليها القانون الروماني بمقتضى قانون كورنيليا(Lex Cornelia de Sullae Sicariis et Venefici) ، ولكن رافع عن نفسه ببراعة كبيرة أمام البروقنصل كلاوديوس ماكسيموس(Apulée, Apologie,XIII, XV) .

مكث ابوليوس بأويا مدة ثلاثة (03) سنوات (158-160م)، وخلال هذه الفترة قدم العديد من المحاضرات، أشهرها محاضرة له بمعبد الإله اسكلابيوس (Asclépios) ، التي حققت نجاحا كبيرا، وحُفظت عن ظهر قلب من طرف أهالي أويا، ما جعل الأهالي تقدم له المواطنة وتوسلات من اجل الاستقرار بها(Monceaux P, 2016, p. 222)

إلا أن حنين قرطاجة كان يجذبه دوما، ويظهر لنا بوضوح في مراسلاته الدائمة مع أصدقائه القرطاجيين، ولعلى انزعاج ابوليوس من بعض الأقاويل والافتراءات التي لازلت تلاحقه بسبب تهمة السحر، احد أهم الأسباب التي جعلته يترك أويا، ويشد الرحال للمرة الأخيرة وبشكل نهائي نحو قرطاجة(Monceaux P, 2016, p. 222)

التي فجرت موهبته الخطابية، وقدم لنا فيها أفضل أعماله الخطابية والفلسفية والقصية، كما مارس فيها عدة وظائف: المحاماة، الطب، الفلسفة، الخطابة(انظر تعليق رقم 04) الشعر، أمين مكتبة، عالم أحياء، كما قلدته قرطاجة مناصب فخرية، حيث عين كاهن لمعبد الإله اسكلابيوس، ما سمح له بحضور جلسات مجلس الشيوخ القرطاجي(Monceaux P, 2016, p. 223) ، وعضوية في مجلس المقاطعة ممثلا لمادور، وقد ربطته علاقات جيدة مع الشخصيات السياسية التي توالت على منصب الحاكم (البروقنصل) بقرطاجة من خلال مدح فضائلهم(Apulée, Apologie,XIII, XV) ، واستقر بها إلى أخر أيامه، وقد فقد آثره بعد عام 170م ، لذا احتمال كبير انه توفى في هذه السنة (Valette P, 1960 , p. 04).

3-أعماله العلمية:

تعرفنا على الأعمال العلمية لابوليوس من خلال عمله المرافعة، هذا العمل الذي يدرج ضمن الخطابة القانونية، ينقل لنا من خلالها مشاهد وأحداث محاكمته، ودفاعه عن نفسه لنفي تهمة السحر التي أتهم بها، وبموجبها يعاقب عليها القانون الروماني، بمحكمة صبراتة (Sabratha)(50 كلم عن أويا)، بحضور البروقنصل كلاوديوس ماكسيموس(Claudius Maximus)(انظر تعليق رقم 05) ، الذي تولى منصب بروقنصل المقاطعة سنة 159/158 م، وهو التاريخ الذي يصادف تاريخ محاكمته (Valette P, 1960 , p. 23) .

تدور أحداث المحاكمة، حول التهم التي رُفعت من طرف عم صهريه سيكينوس ايمليانوس (Sicinius Imilianus) وبيدونس سكينيوس (S.Pudens)، الابن الأصغر لبيدونتيلا، وقد اتهم على انه استعمل تعاويذ سحرية من اجل إغواء بيدونتيلا والزواج بها، وقتل صهره بونتيانوس، التهمة التي تراجع عليها فيما بعد (Apulée, Apologie,XIII, XV)، إلى جانب بعض التهم الصغيرة، وهي عبارة عن شبهات استعملت كدليل لإثبات تهمة السحر عليه، ويتعلق الأمر بمختلف التجارب العلمية التي كان يمارسها بمختبره، وبعض النظريات التي استخلصها من خلال دراسته المعمقة للفلسفة اليونانية، وهي أصل بحثنا، ويتعلق الأمر ب:

1-3 العلوم الطبية:

احتمال كبير أن بداية احتكاك ابوليوس بالعلوم الطبية، فترة تواجده بروما، تزامنا مع استقرار الطبيب الإغريقي كلاوديوس جالينوس (Claudius Galenus) بروما، الذي بدء بتلقين معارفه الطبية لطلابه الذين تشكلوا أساسا من النخب الثقافية كالخطباء والفلاسفة، حيث ركز في منهجه التعليمي على إعادة إحياء المعارف الطبية الإغريقية لابقراط (Hippocrates)(ولد حوالي 460 ق.م – 370 ق.م) و أرسطو (384-322 ق.م) ، ودمجها مع علوم عصره (Pavesio –Ségium, Amedo, 1966, p. 295) .

ولا شك أن ابوليوس كان واحد من بين هؤلاء المستمعين، ما جعله يقبل بشغف على دراسة الطب أثناء تواجده بروما، ولما استقر بأويا خصص لنفسه مختبرا من اجل تجاربه العلمية، أين استخدمه في استخلاص الأدوية من الأعشاب الطبية مثل اللبان (Frankincense) والقرفة (Cinnamon) والمر(Myrrh)، الغار(Laurus Nobilis) ومختلف البخور(Apulée, Apologie,XIII, XV) ، وينبه ابوليوس إلى حسن استعمالها، ذلك أن الإفراط منها يؤدي بأضرار جسمية، وحسب ما يفهم منه انه لم يكن يعرضها للبيع وإنما يهبها كهدية لأصدقائه(Apulée, Apologie,XIII, XV)

كما استعمل مختبره من اجل عرض معارفه الطبية وشرحها لجمهوره، ما جعل الباحث الايطالي اميدو يفسر تمثال ماركير (Mercrius)، انه احد الوسائل التي استعملها من اجل شرح وظيفة الجسم البشري والتعريف بأعضائه، خاصة وانه يشبه كثيرا الهيكل البشري(Pavesio –Ségium, Amedo, 1966, p. 297)

شغف ابوليوس الكبير للعلوم، جعله يخوض في مجال العلوم الطبية، ما جعل خصومه يتهمونه على أن تمثال ماركير إحدى الوسائل التي يستعملها في عملياته السحرية، إما جهلا به أو لحسدهم الكبير، لذا نجده في مرافعته عن نفسه يعرض المسائل الطبية بكل ثقة، فيقدم لنا احد الأدوية التي قام بصنعها، وهو عبارة عن مرهم يستعمل لعلاج اللثة، يتكون من مسحوق ناعم مستخرج من احد الأعشاب الطبية ذات أصل عربي، له عدة مزايا كتبييض الأسنان وعلاج قروح اللثة وانتفاخها، مع إمكانية استعماله كمعجون لتنظيف الأسنان، وهو بذلك علاج جديد يقدمه لأهالي اويا، الذين

كانوا يستخدمون الطريقة التقليدية، المتمثلة في استعمال الفحم في عملية تنظيف الأسنان(Apulée, Apologie,XIII, XV) ،

وفي موضع أخر من الابولوجية، تظهر لنا براعة أبوليوس في ميدان الطب، من خلال تشخيصه لمرض الصرع (Epilepsie) لحالتين احدها للعبد ثالوس (Thallus) الذي ظهرت عليه عدة أعراض مثل كدمات موجودة على مختلف أجزاء جسمه، وقروحا صغيرة تملأ وجهه، ذبول عيناه، ووهن كبير بسقيه (Apulée, Apologie,XIII, XV)، وإحدى النسوة التي أوصى بها الطبيب ثميسون(Thémison)(انظر تعليق رقم 06)، لتشخيص حالتها بعد أن استعصى عليه علاجها، حيث كانت تعاني من طنين قوي بأذنها اليمنى(Apulée, Apologie,XIII, XV)

إطلاع ابوليوس على الأعمال الفلسفية التي عنت بالمجال الطبي(انظر تعليق رقم07)، خاصة التي درست مرض الصرع، أبرزها محاورة طيماوس(Timaeus)لأفلاطون، أرسطو في مؤلفه " النوم و الاستيقاظ " Du Sommeil et De la (Veille) ومؤلف الطبائع(Les Caractères) لثيوفراسطوس، أمدته بالكثير لذا نجده يبسط لنا بأسلوبه عصارة الموسوعات الطبية الثلاثة التي ناقشت أسباب حدوث هذا المرض(Apulée, Apologie,XIII, XV) .

فمفهوم الجسم البشري عند ابوليوس عبارة عن مجموعة من العناصر المركبة، التي صنفت إلى مجموعات مثل الأمعاء، العظام، الأوردة الدموية، .... ، وتعمل بانسجام، فيحدث الخلل الصحي عادة بسبب افتقاد عناصر الجسم إلى الانسجام، أو تجاوز نسبته الطبيعية مثل ارتفاع درجة حرارته أو انخفاضها، أو إلى خلل في مركبات العناصر البسيطة، او حدوث اضطراب في عمل احد العناصر مثل مرض المرارة (Vésicule (Apulée, Apologie,XIII, XV)(Biliaire

يركز ابوليوس على المشاكل التي تصيب المرارة، باعتبارها المسبب الأول لمرض الصرع، كونها مخزن العصارة الصفراوية(Bile) فباضطرابها تصبح مسدودة، واكبر عامل مسبب للمرض، فيتعرض المريض إلى ارتفاع درجة حرارة جسمه مسبة له حمى، فيتكون سائل عبارة عن رغوة كثيفة، (Apulée, Apologie,XIII, XV)داخل جسم

الإنسان يخرج من فمه، مخلفا عدة بثور على وجهه، فيفقد وعيه، ويؤكد ابوليوس أن من يصاب بهذه الحالة لا تتكرر مستقبلا معه، ولكن في عدم خروج السائل، واحتباسه داخل الجسم يختلط هذا السائل الموبوء بسائل المرارة والعصارة الصفراوية، و يتسرب في كل الشرايين والأوردة الدموية، ويندفع إلى رأس الإنسان، ثم إلى الدماغ، فيشل الجزء الملكي من الروح (العقل السيد)، الذي يكون مسئول عن حركة الجسم، فيحدث هوس بعقل المريض، ويسقط بلا حياة(Apulée, Apologie,XIII, XV) .

وقد أطلق على هذا المرض عدة أسماء المرض الأكبر، أو الشر الأعظم اعتقادا منهم أن أصل المرض هو شر وعقاب من الله على الخطايا التي يرتكبها البشر، كما أطلق عليه الإغريق اسم المرض المقدس أو المرض الإلهي كونه يصيب عقل الإنسان، الذي يعتبر أقدس جزء في جسم، كما كان الاعتقاد السائد أن مرض الصرع معدي لذا تم إبعاد العبد ثالوس إلى الريف خوفا من نقل العدوى إلى باقي العبيد، وقد شخص ابوليوس دواء له بناء على ما ذكره ثيوفراطيس، يتمثل في جلد السحالي أو أي نوع من الزواحف التي تغير جلدها ويستعمل جلدها على الفور بوضعه فوق رأس المريض . (Apulée, Apologie,XIII, XV)

أما الحالة المرضية للمرأة التي لم يوجد لها علاج، فيعود ابوليوس إلى ما ذكره أرسطو حول تشخيص هذا النوع من الحالات، إذ يرى أن مرض الصرع يصيب في بعض الحالات الجهة اليمنى من الرأس، عند ذوي الأجسام التي لها بنية قوية، مسببا طنين قوي بالأذن اليمنى مع تصلب شرايين الرقبة تصبح وكأنها مخدرة، لذا فان هذا النوع من الحالات يأخذ وقتا طويلا للعلاج (Apulée, Apologie,XIII, XV).

كما يخلف مرض الصرع عدة أمراض نفسية، خاصة ما يعرف " بالاختناق الهيستيري"،(Suffocation Hystérique)، وهو عبارة عن حالة نفسية مرضية تصيب النساء على وجه الخصوص، تتمثل أعراضه في الشعور بالحرارة في الجسم ومشاكل في التنفس، وقد ربطه الإغريق بمشاكل في الرحم، ويحدث هذا الاضطراب نتيجة عدة عوامل خاصة المشاكل التي تظهر في السلوك الجنسي(Gaide F, 1991, p. 39.40) ، التشخيص التي ربطه أبوليوس بالأزمة الصحية التي كانت تعيشها بيدونتيلا، حيث كانت

تعاني من ألم برحمها، حتى الأطباء عجزوا أن يجدوا لها دواء لدائها، ويأسوا من شفائها، وأنها سوف تفارق الحياة ، والحل الوحيد في علاجها هو الزواج، خاصة أنها بقيت أرملة لمدة طويلة قاربت أربعة عشر (14) سنة (Apulée, Apologie,XIII, XV)، فلانقطاع الجنسي خلال هذه الفترة الطويلة، سبب لها جفاف مؤلم برحمها، وإحساسا بالوحدة (Gaide F, 1991, p. 42)، وبهذه الطريقة قدم لنا ابوليوس العديد من المعارف العلمية حول علم الطب، والصيدلة، وتشخيص بعض الأمراض التي سادت عصره متمسكا في ذلك بالأعراف الفلسفية، وهو ما يتناسب مع اسمه الفيلسوف المادوري .

2-3- علم الأحياء :

يعتبر علم الأحياء في العصور القديمة، اقرب المجالات إلى العلوم الطبية، هذا ما جعل ابوليوس يهتم به، لما تحتويه الكائنات البحرية من فوائد طبية، واستعمالها لأغراض صيدلية(Apulée, Apologie,XIII, XV) ، وقد عرفنا منه انه كتب مؤلفا باللغة الإغريقية، يتضمن ملاحظته الدقيقة حول المسائل الحيوانية، العمل الذي كرسه لدراسة الأسماك (De Solis Piscibus)، من حيث أنواعها وتصنيفها مابين الأسماك التي تبيض(Vivipares) والأسماك الولادة(Ovopares) ، وموسم تكاثرها، أعضائها وسنها (Apulée, Apologie,XIII, XV).

وقد كانت معارف لوكيوس أبوليوس العلمية على مستوى عالي بعصره، وموازية لأعمال ثيوفراسطيس وجالينوس(Pavesio –Ségium, Amedo, 1966, p. 298) ، كما قام ابوليوس بعمل مشابه في دراسته للأسماك ، بتحقيق و ترجمة لعمل أرسطو من الإغريقية إلى اللاتينية الذي تضمن دراسة عامة وشاملة حول الحيوانات، ويتألف من عدة مجلدات، من بينها المسائل التي تعنى بالكائنات البحرية، أين ضمنه بعض ملاحظته وتفسير المبهم منه، خاصة أن هذا العلم لم يكن معروفا وشائعا في عصره، وبناء على ما ذكره ابوليوس في مرافعته أمام كلاوديوس ماكسيموس، فقد كان هذا الأخير على إطلاع واسع بهذه المؤلفات خاصة الفلسفية منها(انظر تعليق رقم 08)، وبذلك يعتبر ابوليوس الأول من قام بدراسة العلوم البحرية فباللغة اللاتينية(Apulée, Apologie,XIII, XV) ، هذه المؤلفات القيمة، التي نأسف لضياعها، حيث لم تصلنا أي شذرة حول محتواها،

هذا كما أشار بافيسيو أميدو أن ابوليوس اهتم أيضا بدراسة علم النبات(Botanique)، وترك في هذا المجال مؤلفا ضخما تناول فيه مجموعة من الأعشاب والنباتات الجافة، خصائصها وفوائدها الطبية، حيث خصص جزء من هذا المؤلف العلمي لدراسة الليمون، وقد كان هذا الكتاب معروف عند البلاغي برسكيانوس القيصري (Priscien de Césarée) (انظر تعليق رقم 09)،خلال القرن الرابع ميلادي (Pavesio –Ségium, Amedo, 1966, p. 298).

3-3- العلوم الفيزيائية:

عرض لنا ابوليوس معارفه عن علم البصريات (L'Optique)، والنظريات الفلسفية التي سعت لشرح كيفية حدوث الصور، فبناء على ابيقور (Epicurus) ان الصور تنبعث منا كأنسجة خفيفة، وتبتعد عن الأجسام في تدفق مستمر، وعندما تصطدم بجسم صلب، ترتد وكأنها في حالة صدمة وتعود في الاتجاه المعاكس، أما أفلاطون، يرى أن الصور التي نراها تحدث عندما يتحد ضوء العين مع الضوء الخارجي، في حين الفلاسفة الرواقيين كانت لهم نظرة خاصة حول الأبصار، فبعد سقوط الأشعة على جسم صلب وحاد (جسم مرئي) يحدث شعاع يخرج من العين على شكل زاوية مخروطية قاعدته في الجسم، وهكذا تعود الصور على هيئتها وترسم لنا (Apulée, Apologie,XIII, XV).

4- القيمة العلمية لأعمال لوكيوس ابوليوس العلمية:

تنوع أعمال ابوليوس غير عادي، حيث خاض في كل العلوم التي سادت العصور القديمة، والتي أثارت اهتمامه، إذ يفترض مونصو أن ابوليوس بدء في مشروع مسودة لموسوعة كبيرة، بداية بتنقيح موسوعة المؤرخ الموسوعي اللاتيني وارو (Varron)، التعليمية الإرشادية (Disciplinarum) التي عنت بمختلف الفنون والعلوم، الموسيقى و الشعر، المنطق، البلاغة، الخطابة، الحساب، الهندسة المعمارية، الفلك، الطب، فقد كان هدفه تغطية كل محتويات الموسوعة ومواضيعها، إضافة إلى ترجمته للعديد من الأعمال الإغريقية إلى اللاتينية التي كانت موجه خصوصا للمدارس (Harisson S.J, 2000, p. 38)

فرغم عالمية أعماله إلا أنها بقيت معزولة في وقت ابوليوس، مقصورة على المجال الجغرافي الإفريقي، ولكن رغم ذلك فقد زود ابوليوس جمهوره القرطاجي بمختلف روافد الفكر الثقافي الإغريقي، واعتبر نفسه مصدرا لها، رغم وجود العديد من المنافسين له، و لاحقا أدمجت العديد من أعماله ضمن أعمال الكتاب اللاتين وحتى الإغريق، وكان يستشهد به كعالم وباحث في إفريقيا، خاصة ما تعلق بأعماله حول التاريخ الطبيعي، وحافظ على نفس الهيبة العلمية كباحث حتى أثناء الغزوات الوندالية، التي كانت تذكر أعماله الطبية(Monceaux P, 2016, p. 230)

خاتمة:

ما يمكن أن نستخلصه من هذه الدراسة:

- أن روح ابوليوس كانت شغوفة لكل أنواع المعرفة، وهو بذلك نموذج لموسوعة متعددة المواضيع، التي كانت ثمرة عدة تفاعلات ثقافية متنوعة (احتكاك الثقافة النوميدية بثقافات البحر الأبيض المتوسط)، فقدمت لنا نموذج فريد من نوعه.

- كما أن حبه للمعرفة و شغفه الكبير بها، جعله يتبنى مختلف المذاهب الفلسفية، كانت له بذلك حجة قوية لولوج مختلف العلوم، و الخوص فيها عن طريق التجربة والملاحظة، وهو بذلك يضاهي اكبر فلاسفة الإغريق، ليس تكبرا ولكن أجلالا و تقديسا لهم، والذي طالما اعتبر نفسه واحدا منهم، ويظهر من خلال اسمه" الفيلسوف الأفلاطوني المادوري"، كما قدم نفسه دوما فيلسوفا، وكأنه وجد فيها ضالته المنشودة، وما يشبع من rhغباته وفضوله اللامتناهي .

- ابوليوس نموذجا ومثالا للنخب الفكرية التي ظهرت بإفريقيا خلال القرن الثاني ميلادي، الذي استطاع أن يبرز عبقرية الأرض النوميدية وفعاليتها، ومامدى إسهام الإنسان الإفريقي في مختلف العلوم والآداب، وقد رسم ابوليوس نهج للعديد من الشخصيات النخبوية الإفريقية، من بعده رغم أنهم اختصوا في مجالات أخرى أمثال ترتليانوس الذي كان من اكبر الشخصيات المسيحية شبها له، إلا أنهم استطاعوا أن يصلوا إلى العالمية، وخير مثال في هذا المقام، ما قامت به دولة المجر في 27 جويلية 2021، بإقامة تمثال شرفي له، احتفالا بالتراث الروماني، التي تعتبره جزءا منها، وهي

حقيقة لا يمكن أن نطمسها، كونه قام بالعديد من الأعمال اللاتينية وحتى إثراء المعجم اللغوي اللاتيني من خلال ترجمة أمهات الكتب الفلسفية الإغريقية، ولكن في صميمه دوما كان يحتفظ بمادوريته وقرطاجيته .

التعليقات والشروح:

- **التعليق رقم 1**: لوكيانوس (120-180م) إغريقي الأصل، كرس حياته لدراسة الآداب، وأصبح فيما بعد مدرسا للخطابة، ثم شد الرحال إلى روما أين بقي فيها لمدة، ثم إلى بلاد الغال ثم إلى أسيا الصغرى وأخيرا استقر بمصر بعد أن كلفه الإمبراطور ماركوس اورليوس بوظائف إدارية وقضائية مهمة وقد عاصر لوكيانوس ابوليوس، وجمعتهما خصائص مشتركة كلاهما درس الخطابة وتبنى المذهب السفسطائي، وقد ترك رصيدا ثريا من الأعمال قدرت بخمسة وثمانين (85)مؤلفا، للاستفاضة أكثر حول هذه الشخصية عُد إلى الترجمات التي قامت بها الاكادمية الفرنسية (Les Belles Lettres)، سنة 2018 ،ترجمة :(Anne Marie Ozanam

-**التعليق رقم 02**: اليوس ارستيدس(117-181م) يعتبر من أكثر الشخصيات التي قامت بإحياء السفسطائية خلال القرن الثاني ميلادي، وقد عرف بقوة خطابته وتأثيرها حتى في عهد نيرون، تلقى دروس البلاغة بأتيكا، وربما كانت له فرصة هناك للاستماع لخطب هيرود اتيكوس، الذي عمل كمدرس للخطابة، كما قام مثل كل النخب وقتها بسلسة من الرحالات في مدن البحر الأبيض المتوسط، اولا بمصر التي مكث بها مدة سنتين، ثم العودة إلى موطنه بآسيا الصغرى، ليعود مرة أخرى لرحلاته العلمية، ليشد الرحال هذه المرة إلى روما أين أصابه فيها مرض غريب، وقد عرف بغزارة إنتاجه الأدبي تناول فيها مواضيع تاريخية، ومقالات جدلية. لمعلومات أكثر عد إلى مقال :

Jean –Luc Vix , Aelius Aristide (II siècle AP J-C) un défenseur passionné de la rhétorique, texte romanité de la communication fait lors de la journée consacrée au thème « Art de la parole ; pratiques et pouvoirs du discoursl »lycée fustel de Coulanges ,17 Mars2010.

- **التعليق رقم 3:** الأزاهير مجموعة غير كاملة من المحاضرات والخطب التي ألقاها ابوليوس، تتكون من ثلاثة و عشرون (23) شذرة، تم جمعها من احد المعجبين به في أربعة كتب، ويرجح بول مونصو احتمال كبير أن ابوليوس هو من قام بنشرها بنفسه، يقدم لنا الأزاهير مجموعة من الخطابات والمحاضرات وهي بمثابة موسوعة تتناول مواضيع مختلفة، إلى جانب بعض الجوانب الخاصة : إشارات إلي أيام الدراسة وأسفاره، أعماله الأدبية، وبذلك يعد وثيقة مهمة لنا لدراسة حياته .

- **التعليق رقم 4:** لم يكن ابوليوس يقد دروسا لطلبة، و لم يكن أيضا يقدم هذه الدروس بانتظام، بل يقدم محاضرات، وقد كان هذا الأسلوب نوعا من التحضر شائع في العصر الروماني، بحضور الجمهور، وقد عرف أيضا لوكيانوس(Lucien) انه محاضر، أين سافر إلى بلاد الغال وايطاليا، وقام بإلقاء محاضرات للعامة فكانت وسيلة لاشتهاره وكسبه للمال . Boissier G., 1985, Op.Cit,p.105

- **التعليق رقم 5:** كانت المحاكمة بإفريقيا البروقنصلية أو بأحد المقاطعات الرومانية، غير ان القاضي ينقل بعض القضايا بشكل دوري من المدن الرئيسية إلى بعض الأقاليم الصغيرة، وبهذه الطريقة حضر كلاوديوس ماكسيموس للمحكمة، والتي كانت موازية لبعض الأعمال له بصبراتة . عد إلى Monceaux P., 2016, Op-Cit, P.235

- **التعليق رقم06:** لا نعرف بالضبط هوية الطبيب ثميسون ولا وظيفته إن كان مساعدا لابوليوس، ما نعرفه أن هذا الاسم يحمله العديد من الأطباء في العصور القديمة، فكيلس (Celse) في كتابه حول الطب(De Mediciana) ، ذكر لنا اسم ثيميسون، و قد كان طبيبا مشهورا في وقته، و قد عرفنا هذا الاسم أيضا في(Laodiceé)(50 ق.م) الذي اخترع الطب وأطلق عليه " المقدس والمر"، أما يوبينال(Juvénal) ذكر في القرن 1 م، اسم الطبيب ثميسون، والأطباء الثلاثة يعتبرون أحرار، لذا فنحن أمام فرضية ان الطبيب الذي ذكره ابوليوس ليس بخادم ولا عبد معتوق، ذلك أن القانون الروماني يحرم على السيد استعمال العبد خارجا في وضائق عامة، و قد يكون طبيبا، وتعرف على ابوليوس الذي كان في هذه الفترة انكب على دراسة المؤلفات الفلسفية الطبية(

Iatrosophistes)، فلما استعصى على الطبيب معالجة حالتها أرسل بها إلى ابولويس .
عد إلى: Pavesio –Ségium Amedo, 1966,Op-Cit ,pp., 295,296

- **التعليق رقم 07**: نلاحظ مزج ابوليوس الطب بالفلسفة ، وقد كان هذا شائعا من خلال ما لاحظناه عند الطبيب غالينوس الذي عنى في أبحاثه بإحياء الفلسفة الطبية الإغريقية

التعليق رقم 08: ذكر لنا ابوليوس مجموعة من الفلاسفة الإغريق الذين عنوا في دراستهم بعلم الأحياء البحرية، خاصة تشريح الأسماك منهم أرسطو الذي ترك لنا مؤلفا حول علم الحيوان، الذي يعد من أوثق المراجع حول دراسة الحيوان يتكون من عشرة (10) مجلدات، ويعد المجلد الثاني الذي اعتمد عليه ابوليوس في نقله لنا كل ما يتعلق بنمط المعيشي و التكاثري للأسماك، كما اعتمد ابوليوس على عمل الفيلسوف الإغريقي لوكيبوس (Leucippe) (القرن 5 ق.م)، فقدت أعماله كليا حول دراسة الحيوان و الأسماك، الفيلسوف ديموقراطيس(Démocrite)(457-40 ق.

الذي ترك لنا مؤلف يتعلق بالحيوانات البرية و المائية، وأعمال ابيقور.Apologie, XXVII

التعليق رقم 09: برسيكيانوس القيصري أخر نحوي يصلنا من العصور القديمة، من مواليد القيصرية حوالي سنة 470 م، وانتقل إلى القسطنطينية أثناء الغزوات الوندالية، وقد كتب مؤلفه المشهور عن قواعد اللغة(Institutiones Grammaticae) مابين 526-527 م، ويعتبر عمله ذا أهمية كبيرة تاريخ الفكر اللغوي الغربي، تضمن وصف بطريقة منهجية ومنطقية عمل اللغة اللاتينية انطلاقا من توظيفه أمثلة متداولة في الحياة اليومية، خاصة التقاليد، درس فيه قائمة الأسماء غير القابلة للاشتقاق من اللغتين الإغريقية و اللاتينية، القواعد النحوية لصياغة الجمل باللغتين، المتغيرات التي تخضع لها من حيث إدخال حروف العلة و الحروف الساكنة ، المتغيرات المترادفة المتداخلة بين اللغتين ، كما قام بدراسة للمصادر التي كتبت باللغتين الإغريقية واللاتينية، وفي هذا الإطار جاء ذكر ابوليوس في ثنايا أعماله. للتفاصيل أكثر حول العمل اللغوي لبركيانوس عد إلى : Biville Frédérique,2008,les Institutions de Priscien ,une Grammaire et une culture Bilingues ,In ;des formes et des mots chez les Anciens ,Besançon ;Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité, pp 31,50.

قائمة المصادر والمراجع:

1. Apulée, (1960) , Apologie, texte établi et trad., P.Vallette, les belle lettres, Paris.
2. Apulée, (1960), Florides, trad., P.Vallette, les belles lettres, Paris.
3. Beaujeu J., (1983), les dieux d'Apulée, revue de l'Histoire des religions. 200, n. 4.
4. Boissier G., (1895), promenades Archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette, Paris.
5. Cébe J.P., (1989), Apulée, Encyclopédie Berbère, Volume, 6.
6. Dalbera J., Longrée D., (2019), la longue d'Apulée dans les Métamorphose, l'Harmattan, Paris.
7. Gaide Françoise, (1991), les niveau de la science Médicale Apulienne dans l'Apologie, " Vita Latina ",n.,123.
8. Harrison S.J.,(2000), Apuleius A Latin Sophiste ,Oxford University Press.

9. Monceaux P., (2016), les Auteurs Latines D'Afrique (la littérature Latine d'Afrique), Livres Editions, Alger.
10. Monceaux p.,(1887),Note critique sur la chronologies des œuvres d'Apulée , revue Archéologique ,Troisième Série,T.10.(Juillet-Décembre)
11. Pavesio-Séguin, Amedo,(1966), Apulée Médecin et Ses Ouvrages Scientifiques ; In, Revue d'Histoire de la Pharmacie ,54 Année, IV, 191.
12. Saint Augustin, (1982). les confessions, trad., Louis de Mondadon, édit., Pierre Horay, Paris.
13. Yann le Bohec , (1994), Apulée et les Sciences dites exactes ; In ;"l 'Afrique Romana"